# الو اقع و الظواهرية في عناصر التراث ، تجسيد لمفهوم الفكر الفلسفي

## *Reality and Phenomenology In The Elements Of Heritage ,An Embodiment Of The Concept Of Philosophical Thought*

**د.موهوب نعيمة*[1]**

[1]المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ والإنسان والتاريخ ، (الجزائر) ،.mouhoub.7.naima@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/10/30 تاريخ القبول: 2026/03/11 تاريخ النشر: 2026/04/12

**ملخص:**

تعتبر الفلسفة من العلوم العقلية والفكرية التي تنتمي إلى مصاف العلوم الإنسانية، وبغرض تحديد العلاقة بينها وبين التراث الثقافي لأي مجتمع ما، هل هما مكملان لبعضهما ويسيران في خطٍ واحد؟ أم أنّ كل واحد منهما يسير في عكس إتجاه الآخر؟ فبإعتبار الفلسفة تخلق الفك

ر الذي يخلق الفكر الذي يعالج المشاكل ، فهي ليست عبارة عن حشو من الأفكار، بل يمكنها أن تكون طريقة للحياة والممارسة الفعلية بإخضاعها إلى علم الظواهر، من خلال تجارب شعورية ، تخضعها للإختبار ومن ثم ترتكز على معطيات الواقع، فتنشأ علاقة بين ما نسميه العقل والنقل إلى الواقع ، أما عن علاقتها مع التراث، فإن الممارسات الإجتماعية التي تمتد عبر الزمن ترسّخ البُنية الثقافية داخل المجتمع .

**كلمات مفتاحية:** الواقع ، الظواهرية ،المفهوم ،الفلسفة ، التراث .

**Abstract:** Philosophy is considered one of the intellectual and rational sciences that belongs to the field of the humanities. To determine the relationship between philosophy and the cultural heritage of any given society, one might ask: are they complementary, moving in the same direction, or does each follow an opposing path? Since philosophy generates the kind of thought that addresses problems, it is not merely a collection of abstract ideas; rather, it can serve as a way of life and a form of practical engagement when subjected to the study of phenomena. Through experiential and conscious reflection tested against reality, philosophy becomes grounded in real-world data, establishing a link between what we call reason and the transmission of ideas into lived experience .As for its relationship with heritage, social practices that endure over time consolidate the cultural structure within a society.

**Keywords** Reality , Phenomenology, Heritage , Philosophy , Concept .

* المؤلف المرسل

## 1.المقدمة

كثيراً ماتكون المادّة الفلسفية، محور العديد من الإشكاليات، التي تهم الوسط البحثي والمعرفي في الغالب، بكونها ذات طابع تجريدي، يصعب على عدم المتمرسين فيها الفهم والتدقيق والتحري لأسسها وإستيعاب النظرية التي تبنى عليها، وكذا معرفة كيفية صقلها مع الواقع لكي تنتقل من طابعها التجريدي إلى الميدان و التطبيق ،الذي لا يخص فقط هذا الأخير، العلوم التجريبية والحسية فحسب، وإنّما يتجاوزه إلى إستعمال الملاحظة والتجربة واستخراج القوانين على المستويات العديدة للعلوم الإنسانية والإجتماعية ، والتراث هو كل ماهو موروث في مجتمع معين عن الأجيال الغابرة من الأخلاق ، والتعابير ،والتنظيمات ،والمعتقدات ،والطقوس ،وامتداد التراث هو شموله لكل ما يميز المجتمع ويمكن أن يخلفه، من إبداعات و فلكلور شعبي ، وإنتاج أدبي وتواصل لغوي ،ضمن مسار تكامل بين الإرث الثقافي مع المتغيرات. الحديثة .ولكي لا تبقى الفلسفة عبارة عن خطاب حبيس الفكر والأزمان كان لابد لنا من النزول إلى الميدان ومماثلته وقياسه بالواقع من خلال تفسيره بالعقل فيبنيه ويحدث ترابط بين ثلاثية المفكر والمثقف والواقع فبهذا يصبح التراث الثقافي والإجتماعي بمثابة مرآة تعكس لنا ماهية التنظيمات والأنساق الإجتماعية الموسسة لكل مجتمع وإحدى أدوات القياس في البحث عن المعرفة ومدى العلاقة بينه وبين هذا العلم العقلي الفلسفي.الذي يتخذفي كثير من الأحيان المنهج الفينومولوجي او الظواهري بطريقة التحليل لما هو ظاهر للوعي الإدراكي للإنسان ومايؤوله هذا الوعي من خلال الماهيات ;والفهم الخالص للصفات الخاصة والمميزة لهذه الظواهر كأساس يقودنا لمعرفة الحقائقومن ثم التنظير لها.

## 2 .ما هية الفلسفة

حسب عبد الله شريط ،في كتابه "معركة المفاهيم " يعطينا مفهوم الفلسفة على أنَها لا تحمل المعنى السلبي المشاع حولها ،إنَما هي ذات فائدة عملية قوية التأثير ، فهي بالفعل لا تحل مشاكل الحياة اليومية مباشرة ،لكنها تخلق الفكر الذي يحل مشاكل القرون و الأجيال ، ويتمَرس على صعاب الحياة و ينظم المجتمع و يحدد العلاقات. الفلسفة ليست تجريد وخيال منفصل عن الواقع ،بل واقع يعالجه الفكر ،حيث أنها تثبت فينا العقل العلمي، وروح النَقد والتحليل، فتكون الفكر الحي الذي يجعل الإنسان يبحث، ومنها تتبع أساليب التَربية والتَعليم والإقتصاد . ويضيف شريط أنَه ليحدث نوع من النسقية من خلال التناسق بين مستوى التنظير والتطبيق ، بحيث لا يهمل أحدهما ،بل ضرورتها الإثنان ، فلا تخلو فلسفة حسية أو مذهب فلسفي جدير بهذا الإسم ، لابد من أن نعثر على علاقة تكاد تكون عضوية بين المعرفة والأخلاق ، أو بين النظر والتطبيق ، أو التصور والسلوك ... فالفلسفة تنطلق من المستوى النظري من قيم و معايير

إجتماعية ، وتسعى لغرسها في الناشئة من أجل استمرارها الحضاري ، و بالتالي ضرورة ربط التربية بالمجتمع ، والجامعة بالمجتمع ، و القواعد النظرية بالأمثلة و الطريقة التطبيقية [1]

لقد تعددت المعاني والشروحات المتعلقة بمفهوم الفلسفة ، حيث أنَها تبقى بمعنى مبهم في كثير من الأحيان ،يصعب علينا فهمه وتقديمه كمادة علمية واضحة المعالم كونها تنطلق من العقل المجرد دو ن براهين ثابتة،وقارَة، وبخاصَة لدى الطلاب الجدد ، أو عدم المتمرسين في هذا النوع من العلوم، صحيح أنَها حافظت على فكرة "الفلسفة أم العلوم وكذا،"حب الحكمة " وغيرها من المسمَيات التي دلَت عليها ،وحافظت عليها إلى يومنا هذا ، لكن بقيت غير مفهومة لدى الكثرين ، حيث المتأمل في الفكر الفلسفي ، الأرسطي ، وغيره من الفلاسفة القدامى يلحظ أنَها تبقى مجرد علم حبيس الأذهان الذي يهتم بالفكر، والفكر وفقط ، ولا يتعداه إلى التَجربة أو التطبيق ومحاكاة الحياة الإجتماعية و النُزول إلى الواقع والميدان ، و لقد عانت من هذه النظرة إليها لعدة قرون ، إلى حين الربط بين الواقعية و العقلانية ، بدأت تنسلخ نوعا ما من هذه النَظرة المجرَدة،بإستعمال أدوات وتقنيات بحثية تساعدها في كون أساسها المبني على العقل، والتَفكير، يساهم بطريقة عملية جديَة في تنظيم العلاقات الإجتماعية وفقا لما تتطلبه الحياة،لتدخل وتشارك في مجالاتها المتعددة الفكرية منها و التطبيقية العملية،وكل هذا مكان ليحدث لولا محاولتها لعرض حلول لمشاكل إجتماعية ترتبط بديناميكية الفرد و المجتمع في حلقة أساسها الفكر،وعناصرها الماديات التي تعطي لها الواقعية ، نوع من محاولة لطرد الملل و كذا الغموض الذي يتصف به طابعها التَجريدي ، و هذا ما يحث عليه الفلاسفة الجدد إن صحَ القول ، بأنَه لإضفاء طابع الملموس للفلسفة فلابد لها من أدوات لإستقراء الواقع،تنقيبه ومحاولة فهمه ليس في الأذهان فقط ، بل إعتبار الظواهر الموجودة في الكون كأنَها أشياء ،كما حث عليها "دوركايم "عالم الإجتماع،واستبطانها لكي نفهم ماهيتها،يمكننا أن نقيسها و نقارنها ،ونطبق عليها تجارب بالملاحظات المشاركة وغير المشاركة، و إفتراض فرضيات ،ثم الإستنتاج و التأويل كما ذهب إليه المنظرون الإجتماعيون ، فإعتبارها أشياء يمكن أن يسهل لنا العمل للإلتصاق بالواقع، وتفسيره ،وتأويله ،والخروج بنتائج نظرية تطبيقية . حيث أننا نفهم من هذا كلّه أن نكون حريصين على إستعمال وتطبيق نفس مناهج العلوم الفيزيائية وتلك التي تخضع الى قوانين الطبيعة ، على العلوم الأنسانية والإجتماعية ، فيخضع كلا الإختصاصين إلى نفس التجارب لنتأكد من صحة النتائج ، ومدى مطابقتها للواقع المعاش بالنسبة للمجتمع و الظاهرة الإجتماعية و النفسية والفكرية قيد التجربة.

**1.2 أقسام الفلسفة**

وكي نفهم على نحو أفضل كيف أمكن للفلسفة القديمة أن تكون طريقة حياة ، ربما يلزمنا أن نستعين بالتفرقة التي اقترحها الرواقيون "المدرسة الرواقية" بين "الفلسفة نفسها" و"خطاب عن الفلسفة "،حيث أن أجزاء الفلسفة الثلاثة "الطبيعة ، والأخلاق ،و المنطق "عند الرواقيين ليست في الحقيقة أجزاء الفلسفة ذاتها ،بل أجزاء "الخطاب الفلسفي " ويعنون بذلك أننا عند تدريس الفلسفة تدفعنا المقتضيات المنطقية و التعليمية إلى أن نقدم نظرية للمنطق و نظرية للفيزيقا ونظرية للأخلاق ، ولكن الفلسفة ذاتها أي الطريقة الفلسفية في العيش ليست نظرية مقسمة إلى أجزاء ، بل هي فعل موحد يتألف من أن نعيش المنطق ، ونعيش الفيزيقا ، ونعيش الأخلاق ، هنالك لا نعود ندرس النظرية المنطقية أي نظرية الحديث الجيد و التفكير الجيد ،بل ببساطة نفكر و نتحدث جيدا ، ولا نعود ننخرط في العالم الفيزيقي بل نتأمل الكون ، ولا نعود ننظر حول الفعل الأخلاقي بل نفعل بالطريقة الصائبة حيث أنه الخطاب عن الفلسفة ليس الفلسفة ذاتها ، كما يقول "بولمون" أحد أئمة الأكادمية القديمة " يجب أن ندرب أنفسنا بالواقع لا بالتنظيرات الدياليكتيكية [2] وبما أن الفلسفة نمط من التفكير لمعالجة القضايا ، غير الملموسة ، لا يمكن ردها إلى حشد من المعارف كما يقول أرسطو ، وهذا المفهوم ثلاثي الأبعاد الذي يتكون من المنطق والطبيعة و الاخلاق ، هو في الحقيقة كل مركب يحد ذاته بطريقة تكاد تكون عفوية ، دون مسببات تكونها أو تؤثر فيها ، ومعنى ذلك أننا إذا اتخذنا الفلسفة كوسيلة فعلية لمعرفة كيفية العيش و الاستمرار في هذا الوجود ،كان حريُ بنا أن نعايش هذه الأ جزاء الثلاثة ، حيث لا يخلو أي بشري منذ أن وطأت أقدام البشر هذه البسيطة ، إلا و هو يمارس هذا الخطاب الفلسفي بالتفكير و إعمال العقل لمواجهة هذه الطبيعة التي ينتمي إليها ، و تظل تقابله أينما وجد أو ارتحل ، بإستعمال واختراع أدوات لكشفها وإستغلالها على نحو أفضل يناسبه ويناسب طريقة عيشه ، وبعد هذا العمل المضني و الشاق ،الذي وصل إليه بعد إعمال الفكر و إكتشاف الطبيعة لم يبقى لديه سوى إنتاج مجموعة من الأخلاق أو طريقة التصرف إن صح القول ، بعد الترف الذي يحصل له من معاشرة الطبيعة فتتنوع الأفكار ، وتزداد المفاهيم على نحو يعطي لهذه الاخلاق نوع من الولادة ثم الإبداع ،وكأننا بصدد محاكاة دورة الحياة التي مرَ بها الإنسان الأول القديم ،من خلقه ومسيرته في إكتشاف الكون ،وهكذا نجد أنفسنا نبتعد عن التنظيرات و التجديدات في ملامسة الواقع ، ونتقرب أكثر فأكثر لما نسميه اليوم الحضارة والثقافة أي الشق الحياتي المادي والمعنوي ، وما تنتجه هذه الحضارة المادية التي تحوي عناصرها المعروفة وترجمها إلى ثقافة وفنون و أخلاق وغيرها. ومن ثم نجد هذا البشري قد أنتج بالفعل هذا الخطاب الفلسفي ، ومن ثم الفلسفة بطريقة الفكر ثم الممارسة ثم تتويجها بأخلاق ، تصبح

فيما بعد بصمته التي تميز مجتمعه الذي ينتمي إليه ، فتعدد المجتمعات و تعدد أنماط التفكير ، و الخصال ، و الطبائع و الصنائع فيصبح كل له هويته الخاصة و خصوصيته التي تمثله و تميزه عن باقي الأجناس ،من خلال هذا النمط الفلسفي الذي تبناه أو اكتسبه طيلة حياته وطيلة محولاته الحثيثة لإكتساب طرق العيش وفهم الحاضر والإستعداد للمستقبل.

**3 الفلسفةوالأنا**

أما إذا ماقارنا الفلسفة الإسلامية بالفلسفة الغربية التي درست في القرنين الماضيين السابع والثامن عشر من الميلاد في الجامعات الغربية ، والبلاطات الملكية ، وطبقات النبلاء والأرسطقراطية ، فبمقارنتها بتاريخنا العربي الإسلامي ، فهنا يمكن أن نقرّ بما قدمه الباحث من أدلة عن المفارقات الزمنية والتارخية لكل من الفلسفة المعاصرة والتراث الإسلامي القديم . كما جاء في حديث الدكتور حنفي ، فإنه تطرق إلى إشكالية ثانية تخص ما نسميه "الأنا " و" الأنا الأخر " فبإعتبار الاختلافات والخلفيات لكلا القطبين ،الغرب والمشرق ، حيث أنه كل منهما ينفرد بثقافته ، حضارته ، دينه، تعامله مع المقدس ، عاداته ،أعرافه ، طقوسه ، بيئته اللغوية ، وبيئته الحضرية ، فيمكن أن نستشف نوع من التوافق فبإعتبار الاختلافات والخلفيات لكلا القطبين ،الغرب والمشرق ، حيث أنه كل منهما ينفرد بثقافته ، حضارته ، دينه، تعامله مع المقدس ، عاداته ،أعرافه ، طقوسه ، بيئته اللغوية ، وبيئته الحضرية ، فيمكن أن نستشف نوع من التوافق مع رأيه في هذا الطرح وذلك نظرا لخصوصية المحيط الفكري ، الفلسفي ، وتنشأته التي تفرز هي الأخرى نوع من الهوية والجذرية إن صح القول فتتسع الهوة بين المعسكرين ، فيختلف التراث بعناصره عن التفكير الفلسفي ، أو بالأحرى الفلسفة المعاصرة ، إذا ماتعلق الأمر بإختلاف الشعوب والأجناس البشرية ، تتداخل دائما المفاهيم بعضها البعض من تراث وثقافة وحضارة وفلسفة ، لتجد نفسها أمام التساؤلات المعتادة ، التي ما تفتأ تلتقي بها وتصادفها أينما ذكرت هذه المفاهيم ،جنبا إلى جنب أو حتى متفرقة ، بسب ذاك التراكم المعرفي الهائل الذي تزخر به كل من تلك العناصر سواءً مجتمعة أو كل واحدة على حدى.

**4 مفهوم التراث**

يعتبر التراث من المفاهيم النظرية التي يصعب تحديد حيز لها، بكون إحتوائها على عدة جوانب تكاد تكون متشعبة ، فيصعب التدقيق فيها سواءً من حيث الحيّز المكاني أو الحيّز الزماني خاصّة من حيث أصولها التاريخية، التي يصعب التحقق من مدى صحّة ودقة مصادرها ومنشآتها، وتكمن الصعوبة كذلك في طريقة الجرد لهذا التراث، وذلك نظراً لكونه غنياً وثرياً ومتنوع، خاصّة بالناحية الأنثروبولوجية ، العلم الذي يهتم بدراسة حياة الشعوب، فبتعدد المجتمعات، يتعدد التراث ، ويتنوع سياقه بإعتباره رمز من رموز هوية وطن.

عرف فهمي جدعان التراث بأنه" كل ما ورثناه تاريخيا ، والموروث هو بطبيعة الحال الأباء ، والأجداد ،والاصول ، وبكلمة مجردة الأمة التي نحن امتداد طبيعي لها . "

أما محمود أمين العالم فيرى أن التراث ليس هو التراث المكتوب فحسب ، بل هو التراث بمعناه الشامل ، والمتحقق في أشكال التعبير الفكري ، أو الأدبي ، أو السلوكي عامة ، أو التراث الشعبي ،ذلك أن البعد الشعبي من التراث هو البعد الأكثر تأثيرا كونه ينطوي على نوع من قواعد السلوك .

يعرفه عبد الله العروي قائلا : " عندما نقول الموروث أو التراث ، فإننا نشير إلى مجموعة من الأشكال الكلامية أو السلوكية ، التي انحدرت إلينا من الأجيال السالفة ، وبالتالي فإن كلمة تراث تعني كل ماهو موروث في مجتمع معين عن الأجيال الغابرة : العادات، والأخلاق، والأداب، والتعابير ،والتنظيمات ، وهذا المعنى هو بالضبط ما تؤديه كلمة تراث.

وينقسم التراث إلى أجزاء مادية ومعنوية أو إلى تراث مادي ولامادي أوتراث طبيعي ملموس و فكري مجرد وذهني وكثيرا ما تتراكب وتتشابك وتتللبس هذه المعاني وتندمج فيما بينها وبين مانسميه نحن ماهية كل من الحضارة والثقافة التي تعتبر الأوجه المكملة لهذا التراث ،فبين المكتوب والملموس والطبيعي والجامد تتضح معالمه من بقايا الزمن العتيق والموروث هوالقديم االمتروك الذي سوف تتناقله الأجيال وتحتاجه في وقت لاحق لتفسير الغموض وإزالتة لتبني نتائج يمكنها أن تصبح فيما بعد وترقى إلى مصاف النظريات والمسلمات الكبرى ،لاتستغني عنها العلوم جميعها في كونها تحتاج إلى الإيضاح.

ويقول غالي شكري: إن التراث في حياتنا لا يبدأ بالكلام المكتوب، أو المحفوظ، أو المقروء،أو المسموع وإنما يبدأ من القيم، والعادات، والتقاليد، ذات الطابع العلمي، أي هذه التي تنعكس في سلوك الأفراد، والجماعات، إنعكاسا فعليا ويضيف إن التراث ليس هو كل الماضي، بل الأجزاء القادرة على تلبية الاحتياجات الموضوعية للتقدم [3]

نفهم من كل هذه التعاريف أن هناك عدة عناصر ، كثيرة التكرار و التردد على مسامعنا ، عندما يتعلق الأمر بإعطاء و تحديد مفهوم واحد و موحد لمصطلح التراث ، سواء من حيث الجانب اللساني لهذا اللفظ ، أو الجانب الدلالي له ، فكلا المعنيين يسوقاننا إلى جانب واحد ، حيث لا يمكننا أن نتوه ونحن بصدد معرفته ،فبإعتباره ماضي المنشأ ، واستمراريته التارخية ، ومشاركته الحاضر وظواهره الإجتماعية ، و السياسية ، والأدبية ، واللغوية ، وطريقة النقل والعقل فيه ، وواقعيته ومنهجه الصوري ، وشموليته لأركان الحضارة ، لعناصرها ورموزها الثقافية ،وجدليته الرمزية، التي تجعل من رموز الماضي ركائز لإستقراء الحاضر ، وطابعه العلمي تارة ،والفلسفي الأنتربولوجي في أحيان كثيرة ، يتجلى من خلال مخطوطاته القديمة

، حفرياته الضاربة في عمق التاريخ ، سياساته الدينية ، انتقال الخبرات من أجيال إلى أجيال وفق تصاميم ذات بصمات متعددة خلفتها تارخيته و جغرافيته ، العقائد المتوارثة ، السلوكيات و الأداب وكذا كل ما يمكن أن ينتجه الإنسان من عادات و تقاليد وأعراف وطقوس عبر مرور الأزمان ، في كوكب يدعى الأرض الذي كان الشغل الشاغل لهذا البشري أن يكتشفه ويفك أسراره وشفرته ، فيتبنى بذلك أفعال وأقوال تفسره ، ومن ثم تتكرر ليصبح كل هذا إرث وموروث يتناقله الأباء والأجداد في سلسلة لا تنفك أن تكون حلقة وصل بين الماضي،التاريخ ، الإنسان ، والمستقبل بمثابة بطاقة هوية تعطي الخصوصية لمجتمع ما في زمن ما من خلال تاريخ ما ، في بيئة ما ، فتبقى البصمة هي الحجة ، والبرهان على الكون والوجود والحضور في أسلوب نقدي ، جدلي ، إستقرائي ، بين أصالة ومعاصرة .

**1.4عناصر التراث**

يعمل التراث بين مد وجزر ، في العلوم الإنسانية بإعتباره ينشأ، يُعاش، يستمر ثم يندثر ثم يظهر من جديد .

**1.1.4 اللغة**

تحدث شريط في كتابه من واقع الثقافة الجزائرية ، "عن أن تعلم اللغة أصبح ظاهرة عالمية لأن كل لغة تحمل تراث شعب ، وتجارب حضارة ، وتعلم حضارة وتراث الشعوب ،من أثمن ماتصل إليه المجتمعات ، فاللغة العربية هي التي تحمل تراثنا وثقافتنا ، كما يضيف أن الكتاب هو معيار التقدم الحضاري ، لأنه يدل على الإنتاج الثقافي للشعوب وإبداعهم" [(4)]

"و اللغات التي تحمل دلالات حضارية ممتدة تظل عنصرا محوريا في الحفاظ على هوية المجتمعات ،حيث تشكل وسيلة للتواصل والإنتاج المعرفي ضمن أنظمة فكرية متجددة السياقات التي تعزز الحضور اللغوي ضمن البنية المؤسسة ، تتيح إستمرار العلاقة بين التعبير الثقافي و التطور التكنولوجي ، مما يخلق فضاء تتداخل فيه المفاهيم التقليدية مع الآليات الحديثة "[(5)] .بإعتبار التراث جزء من النشاط الإنساني الذي لا يمكن فصله عن الإنتاج التاريخي البشري ، حيث أنه يحوي أقساما عديدة يعبر عن عادات وتقاليد وطقوس وله موروث لغوي أدبي ، حيث لا تخلو اللغة من كونها الحجر الأساس لأي من هذه الموروثات والمخزونات الثقافية هي علاقة بين متلقي و مستجيب ، هي ربط بين مرسل و مرسل إليه ، هي فونيمات صوتية عبر ذبذبات ، يسجلها الدماغ ، ويترجمها على شكل كلمات تصبح مفهومة للوعي الإنساني ، هي منطلق ،هي البداية ، هي رموز تجعل الإتصال بين الناس ممكنا ، ومفهوما في حوار شفوي مسموع أولا ثم مكتوب لاحقا ، حيث لا يتطلب منا مفهوم مصطلح اللغة الكثير من التفسير لأنه كان مصاحبا لبداية البشرية ، وظاهرة

من الظواهر الإنسانية ، تشارك في تاريخه ، تسرده ، تضمن له الإستمرارية ، تقوم بتخزينه ، تؤوله لكثير من المرادفات تصنع منه كمًا هائلا من الإرث الصوتي اللغوي ،ليتحول فيما بعد إلى إرث أدبي و أبدي في كثير من الأحيان، حيث أنه يمكن أن تتحور هذه اللغة ، فتفرز طفرات لغوية عديدة إن صح القول ، لكن تبقى كلها رصيد يضيف الكثير من المخزون اللغوي لكثير من الشعوب ، مما يضفي التعدد والكم الهائل الموروث و التراث الثقافي لأي أمة من الأمم ، بتعدد لغاتها وثقلفتها اللغوية ، ولا تقتصر اللغة في مفهوم التراث أنها جزء منه بل تتعداه إلى مفاهيم وأفكار ومعارف تترجم في كثير من عناصره المتمثلة في القصص الشعبي و الروايات ، والأساطير ، والنثر ، والشعر ، والأدب ، والأمثال ،و الألغاز والنوادر ، وحكايات الخرافات ، مما يجعلها تتصدر عناصر التراث بإمتياز ، بكونها في المقدمة ، لكي تنظَّر وتفسِّر ، وتشرح ، وتستدَّل ، من خلال نسق من الأنظمة الشفهية ، التي تنظم طريقة الكلام ، ثم الكتابة ، والتدوين والتوثيق للممارسات الفكرية والفلسفية و المحافظة على الذاكرة الجماعية للمجتمعات .،حيث لا يمكننا العيش في واقع أبكم لا يحتوي على لغة لا شفهية ولا مكتوبة ، فخلقت اللغة مع خلق البشرية ، ملازمة لها في كل الظروف ، فهي وعاء يحفظ بداخله تجارب وخبرات المجتمعات البشرية القديمة و الحديثة ، بمثابة صمام أمان يقوم على تفسير واقعه المعاش يضمن له الإنتقال في محطات متعددة عبر أزمنة مختلفة ،تندثر فيه بعض الكلمات ، وتتجدد أخرى ، لكن ليس ببعيد عن نفس الحقل البلاغي والمعرفي ن وكذا السياق ذاته في كل الأحوال التي تتقلب فيها الظواهر اللغوية على نحو يلازم الظواهر المجتمعية المحيطة لتفسيرها وإعطاء الدلالة لها معبرة بذلك عن نسق من الأفكار الفلسفية مجسدة في واقع إنساني محض .

**2.1.4 المعتقد**

أما عن مظاهر التدين بحسب حنفي يتميز التراث العربي بخاصة جوهرية ، لا يتميز بها تراث أمة أخرى ، فهو وحي روحي يتحول إلى حضارة ، موضوع مثالي يتحول إلى علوم مثالية ، ومناهج فكرية خالصة ولا تقتصر صفة المثالية على الوحي بمفرده إنما تتعداه إلى الفكر الإسلامي بأكمله ، إذ أن الظواهر الفكرية الإسلامية ،ظواهر مثالية وليست مادية ، موضوعات فكرية مستقلة وليست موضوعات تاريخية ، لكن هذا لم يمنع حنفي من إسناد الوحي بدعامة تاريخية وهذا ما أكده بقوله " إن الإنسان كائن تاريخي " وواقع تاريخي ، ومجتمعه مجتمع تاريخي .[6]

بعد مجيء الرسالات السماوية ، والكتب المنزلة على الرسل عليهم السلام ، زال الغموض تقريبا ،عند المقارنة بين الظواهر الدينية ،وبين الظواهر التراثية المتمثلة في العادات والتقاليد والطقوس والأعراف المجتمعية ،صحيح أنه منذ خلق الإنسان على هذه الأرض ، قد بدأ بالتفكير وذلك بمخاطبة الطبيعة الموجودة حوله

، وقام بإستغلالها من ناحيتين الفكرية والمادية ، فاستعمل العقل واستفاد من موادها ومواردها ، ومع تكرار بعض الظواهر ،التي صعب عليه تفسيرها في كثير من الأحيان ، منذ بداية الخلق ،فقد قام بتأويلها إلى مظاهر غيبية ، ميتافيزيقية خارج عن نطاقه الفزيائي ، الجسدي ، مما أدى به التفكير إلى صونها كنوع من التراث ، أو المقدسات ، التي ظن أنها تملك عليه سلطة قاهرة ، فأوجب إظهار مظاهر الطاعة والخنوع والخضوع ،ومن ثم تشكل عنده كم من الأساطير والخرافات والطقوس ، التي كانت عنده بمثابة معتقدات لم يكن يصنفها في إطارها على النحو الذي نعرفه الأن ، بل صنفها على أنها مظاهر للتدين أنذاك ، ولم يكن يعرف مصطلح الدين ، بل كان يمارسه بإعتباره نوع من المعتقدات لها زمن ومكان محدد وطقوس معينة لها أدوات معينة ، يجب أن تتوفر شروطها الطبيعية والطقسية لكي يتم ممارستها ، وكل هذا كان من القدم في فكر الإنسان إلى أن جاءت الرسالات السماوية وهذبت أنماط التفكير والتفكر ، في هذا الإبداع الكوني والمخلوقات ، والطبيعة ، فتغير مساره من مخلوق ، معتقد طقسي إلى مخلوق متديّن له دين يتمسك به ، يأخذ من تعاليمه ، وأسلوبه في الحياة ، لكن ظلت هذه الطقوس والعادات والتقاليد ، والأساطير ، والخرافات من ضمن المخزونات التراثية التي يتضمنها التاريخ الثقافي للمجتمعات والشعوب ، وكثيرا ما تظل تمارس إلى يومنا هذا ، لكن تبقى المظاهر الدينية ، و مظاهر التدين موجودة وجود الإنسان ، لكونها أحد ركائز الحضارة التي تقوم عليها ، أي أمة من الأمم ، فالفلسفة تبدأ بالفكرة ، لكن الدين هو أصل الفكرة ، وأساس تفسيرها ، وأساس تطبيقها في الواقع ، ليظل الإسلام في المجتمعات الإسلامية خاصة ، دين تذوب وتندمج فيه جميع الثقافات لكونه الشامل والكامل والوافي والكافي .

**2.4 إمتداد التراث**

" تعكس الصناعات الإبداعية ، التنوع الثقافي ،كما تحدث التحولات اللغوية التفاعل مع المحيط الجديد للإنتقال إلى لغة التواصل السائدة ، وكذا التفاعل مع القيم والعادات المحلية يخلق إطار يتناسب مع إيقاع الحياة الجديدة ، وعملية إعادة تشكيل الهوية تمتد عبر الزمن حيث يتم إنتاج أشكال هجينة من الهوية الثقافية ، تستوعب مزيجا من التأثيرات ضمن نسيج إجتماعي جديد ،أما المهرجانات الثقافية تنطلق من جذور المجتمع تتحول التقاليد إلى طقوس إجتماعية لتأكيد الإرتباط بالموروث ،كما هوالحال في الإنتاج الأدبي الذي ينبثق من التجربة المجتمعية ، يعززإستمرارية التعابير الثقافية مع التغيرات،وتستند الأنظمة الفكرية إلى فلسفات متجذرة ،تظل حاضرة في التوجهات المجتمعية ،حيث يتم إستلهام القيم والنظم المعرفية ضمن مسارات تتيح تكامل الإرث الثقافي مع المتغيرات الحديثة ، حيث أن المشاريع الفكرية التي

تستند إلى هذه الفلسفات تعيد صياغة العلاقة بين التراث والتطور ، حيث تتحول الرؤى التقليدية إلى جزء من الحراك الفكري المعاصر ، مما يخلق إنسجاما بين الإمتداد التاريخي والتطور المستمر "[7]

. كما يشمل التراث على عناصر عديدة ، تطرقنا إليهاآنِفًا في بحثنا هذا ، لكن مايتبادر إلى أذهاننا من تساؤلات ، هو أنه كيف يضمن لنا التراث إمتدادا وإستمرارية في الوجود ، رغم مفهومه التقليدي الذي يحاصره من كل مكان ، يحمل التراث في طياته ، اللغة ، والتاريخ ، القيم ، الأدب ، فنون اللباس ، الأفكار ، وغيرها ، يتفق مع الحضارة والثقافة ليكون الوجه الآخر لهما ،في إمتداد للأفكار الفلسفية التي هي محور هذه العناصر ،التي تكون متجذرة في مجتمع ما ، فتصنع ماضيه وتاريخه ، عن طريق رموز تظل منتقلة بين عاداته وتقاليده ، وطقوسه ،وأعرافه وتنتقل كذلك عبر ممارساته اللغوية والأدبية ، فتصنع هوية له ، بمقتضاها ينفرد كل مجتمع عن مجتمع آخر ، فتختلف البيئات ، و تتعدد الثقافات ، وتبنى الحضارات ، وتنهدم أخرى ، ضمن ما نسميه في تاريخ علم الإجتماع بمفهوم " العصبية " لعالمها الإجتماعي إبن خلدون منظّرها وكاشفها ، فتبنى هذه الحضارات من خلال ثقافات وعمران يعطي لها الخصوصية ، تكون ركائزها من عناصر التراث الممتد ، فيحدث الإزدهار والنمو والرقي لهذه الحضارة ، ثم يحصل الترف ، والتطاول ، وكذا تفسخ العادات والقيم ، فتنحط تلك الحضارة ، بقيمها وفنونها وأدابها ، لتحل مكانها حضارة أخرى ، يمكن أن تضمن بقاء هذا التراث ، لكن بأشكال ونماذج مختلفة تختلف عن الثقافة الأخرى ، فيحدث نوع من التحور ، التشكل ، الإندثار ، البقاء لبعض الأجزاء ، فتظهر أفكار فلسفية تحل محل سابقتها ، لتبني مجتمعا جديدا عبر ألاف السنين ، وعبر أجيال عديدة ، لها ممارساتها الثقافية ، الفكرية ، تحمل وعاء لغوي ، يحوي في طياته القديم ، ويظهر فيه الجديد وتتنوع الفنون ، والمهارات ، وتتغير القيم ، إلاّ أن كل هذا لا يمنع من أن يكون التراث هو الأساس بأفكار فلسفية قديمة متجددة ، لتصنع ثقافة حديثة من أجل حضارة جديدة ، بإعتبار هذه الأخيرة هي إنتاج لمجتمع له ماضي ، وتراث ودين وتاريخ.

**5علاقة المفكر والواقع والمثقف ....**

ركز حسن حنفي على الواقع وكما يسمى لدى صاحبه " نظرية التفسير ، يجعل صاحبه مفكرا وصاحب مشروع حقيقي وجزئي في السياسة والإجتماع والأخلاق ، والحياة العامة وهذا الموضوع مرتبط بالعقل والنقل والواقع ، مرتبط بالعقل لأن العقل هو الذي يعي ذاته ومحيطه ، يقرأ ذاته ويقرأ الواقع ، يحلل كيانه ويحلل الواقع ، يبني ويركب ويكشف الواقع ،ويغييره ويطوره ويضع التاريخ والحضارة . يجد المفكر في الواقع آماله ويعيش أحزانه فيه ، حياته في مستوياته الفكرية المختلفة ، ولا ينفصل الواقع عن العقل ، فهو يفكر فيه ويحلله وينقده ويبنيه ، وأحيانا يهدمه ثم يعيد بناءه [8]

لا يكاد ينفصل الكل عن الجزء ، حيث هي حلقة مرتبطة الأجزاء بعضها البعض ، في هرم أضلاعه وزواياه متساوية الأبعاد ، (الفكر ، المفكر ، الواقع ، والمثقف ) حيث تتنازل الفلسفة عن مبدأ التفكير فقط ، كما أنها لا تستطيع الإستغناء عنه في ذات الوقت ، هي كمّ من الأفكار ، المفاهيم العقلانية والفكرية ، يقودها المفكر إلى مجالات ومستويات عديدة لتعرّف عليها في أرض الواقع ، فتلتقي بعالم من الظواهر متشعب الأقطاب ، دينية ، ثقافية ، إجتماعية ، قيمية ، رمزية ، وكأننا نعود دائما إلى مصطلح الظاهرية أو الظواهرية ، الذي يحدّ من المنهج العقلي الصوري ، فتتجاوزه إلى ماهو واقعي من خلال التمحيص والتنقيب في هذه الظواهر ، فتلاحظها وتفحصها ، في بناء فكري كمرحلة أول. ، لتغوص فيما بعد في عالم من التحقيق الميداني ، فيظهر نتائج ، لتسهيل فك الرموز المعقدة في سلسلة البحث عن العيش السليم ، بالفكر السليم تزينه مجموعة من الأخلاق ، تلازمها الحكمة ، العقلانية في التصرف ، فبالإنتقال من التجريد إلى التجربة ، تصبح هذه الفلسفة الفكرية حالها حال العلوم الأخرى ، حيث لا يظل المفكر في هذه الحالة ، مكتوف الأيدي ، بل يتحرك ويجرب لكشف الغموض ، وإزالة وهم الشفافية التي تبدو عليه الظواهر من أول وهلة ، لتصبح واضحة للعيان فيما بعد ، بعدما تكون قد خضعت إلى مجموعة من الفحوصات المخبرية في مخابر العلوم الإنسانية والتجريبية ، وبهذا تكون الفلسفة مفهومة لدى الجماعة الإنسانية ، وخاصة الطبقة المثقفة منها ، كما يمكننا أن نجيب على السؤال الذي دائما يكتنفه الغموض ، هل المفكر ينتمي إلى " الأنتلجانسيا " أم المثقفون ؟ فنجد في بعض الأحيان الإجابة وإن لم تكن كافية ، أن "الأنتلجانسيا " هي طبقة أعلى من الطبقة المثقفة ، لأنها تمتلك نوع من الملكة العلمية التي تؤهلها لأن تكون في مصاف الأوائل ، الذين بإستطاعتهم إدماج المعاني الفكرية بالظواهر الحية ، من خلال نسج سلسلة من المناهج التوافقية التي تظهر مدى تمرسهم ، وتحكمهم في التقنيات البحثية التي تدحض " نظرية الفكر لوحده كاف " بل تمرره في أروقة تجعل من الإختبار المقاس الفعلي لهذه الأفكار الفلسفية ، وفق ما يتطلبه المجتمع من تفسيرات لظواهر تعنيه وتهمه ، وتخدم مصالحه في مواجهة مايقابله في المجال الكوني الطبيعي الذي ينتمي إليه ، بملامسة الواقع ، فينتقل العالم من رتبة المفكر إلى رتبة المثقف ، وبدوره ينتقل المثقف إلى مرتبة الأنتلجانسيا ، التي تعتبر طبقة رفيعة المستوى من الناحية العلمية والفكرية ، فيسهم بهذا كل بدوره ، ليسهل الفلسفة بأن تكون طريقة للحياة والفكر ، ويسهل للمجتمع بلوغ الحكمة ، وليربط الفكر والحكمة بالواقع وتصبح أسلوب حياة ، وفن في طريقة العيش ، وطريقة لإستمرار الوجود .

**6 الفلسفة والتراث**

" حيث أن أسس الفلسفة والتراث بالنسبة لجيلنا هي الجبهات الثلاث ، التراث القديم ، والموقف من التراث الغربي والموقف من واقع عصرنا ، فتجعل الطلاب في حيرة بين التراث القديم والفلسلفة المعاصرة بعدم تساويها من حيث العمق التاريخي ، إذ يمتد تراثنا في وعينا القومي أكثر من أربعة عشر قرنا ، في حين الفلسفة الغربية لقرنين من الزمن في الجامعات الغربية فهي لم تكون تراثا قديما بعد ، فالأولوية للتراث عن الفلسفة لأنه الأعمق تاريخيا والأرسخ وجدانيا في وعينا القومي " كما أن تراثنا القومي معلوم الهوية ، فهو يعبر عن هوية "الأنا" في حين الفلسفة الغربية هي هوية الآخر ، فتجعل كل من التراث والفلسفة في علاقة صراع وتضاد "[9]

إنطلقت الفلسفة منذ البداية بمسمى " الحكمة " في التراث القديم ، وهو عبارة عن نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة ، فعلى مايبدو أن الإشكالية في إيجاد وتوضيح العلاقة بين ماهية التراث وعلاقته بالفلسفة ، هي إشكالية زمنية تاريخية ، في البداية ، ماذا يسبق ماذا ؟ أي هل الفلسفة أو الفكر الفلسفي أقدم من التراث ، أم أن هذا الأخير متجذر في العمق ، بحيث يستحيل زعزعة إستقراره ، وإنتزاع منه الريادة في الترتيب ، فعلى حد قول" المؤلف ، فإن التراث الذي تزخر به الثقافات العربية الإسلامية ، أي الأنا العربي الإسلامي ، هو الأقدم في التاريخ ، بينما تبدو الفلسفة حديثة العهد ، هذا ما تطرق إليه الكاتب "لكن تختلف وجهات النظر من مفكر إلى آخر ، فالمتأمل المعاصر غالبا ما ينظر إلى الحقب الزمنية التي كانت تأوي الفلاسفة القدامى ، أفلاطون معلم آرسطو وتلميذ سقراط أين أسس أكادمية أثينا وهي أول مدرسة فلسفية في التاريخ ، حيث عاشا في العصر اليوناني الكلاسيكي ، فترة إزدهار الحضارة الإغريقية القديمة ، قبل الميلاد بعدة قرون ، بين القرن الرابع والخامس قبل الميلاد ، فإذا أخذنا بحججية الجانب التاريخي ، نجد أن الفلسفة الأولى قديمة قدم التراث نفسه ، وإن لم نقل أنهما يسيران في خط واحد ، فينشأ الفكر الفلسفي بموازاة التراث القديم ، لأن الفلسفة منذ نشأتها كفكرة ، حاولت أن تكون منهجا تسير عليه المجتمعات السليمة ذهنيا ، ذات أخلاق حميدة في مدينة فاضلة ، كان يحكمها التراث القديم بكل عناصره وملامحه، ليكون موجها لها في علاقة طردية بينهما ، فبعض الأراء ترى بأن الفلسفة والتراث هما وجهان لعملة واحدة ، فالفلسفة تبث الأفكار بحكمة وعقلانية وموضوعية ، تخضع لغربلة التاريخ وقانون العادات والتقاليد والأعراف ، والتي تنبثق من أصل التراث من جهة ،وتترجمها الأصول اللغوية والأدبية من جهة ثانية ، فكأننا في موضع مدٍّ وجزر بين هاذين الوجهين ، تارة نذهب للفلسفة والأفكار ، ثم نعيدها ليحكمها التراث تارة أخرى ، إلاّ أن الدكتور حنفي يبقي العلاقة بينهما في هيئة تضاد ، أي لا يمكنهما الإلتقاء في خط سير واحد

، أو حتى لا يمكن المقارنة بينهما بالخصوص من الناحية التاريخية ، ففي ظن الكثير من الباحثين في هذا المجال ، يبقى التساؤل مطروحا حول ما إذا كانت حجة الفترة التاريخية تكفي لجعل هذا الطرح ممكننا وصالح لكل الأزمان . فإذا سلمنا بأن عنصر التاريخ هو الأساس في توضيح العلاقة من عدمها بين التراث والفلسفة ، فهذه الفلسفة لا نراها حديثة العهد بالبشرية ، بل إنها وجدت منذ أن خلق الإنسان على هذه الأرض ، لأن العقل موجود ، والتفكير موجود ، وإذا ما نسبنا الفلسفة إلى العقل والأفكار ، فإننا نجدها في المقدمة ، إلاّ أن الفرق يكمن في التسمية ، أو أن هذا الإنسان الأول ، لم يكن ليعرف أنه بصدد ممارسة التفكير الفلسفي أو بالأحرى مانسميه اليوم " بالفلسفة " حتى ولم يطلق عليها هذا الإسم ، إلاّ أنها كانت موجودة في ذهنه وتفكيره ، وغائبة عن لسانه من حيث المصطلح .

**7.التراث والهوية**

وإذا تطرقنا إلى إشكالية ثالثة ، وهي طرح التساؤل هل التراث يمثل الهوية والهوية هي الأنا والأنا هي الفلسفة التي تمثل مجتمع معين دون الأخر ، في محيط إنساني معين دون الأخر كذلك ، فلا نجد أن عنصر التضاد والصراع له معنى حسب إشكالية الدكتور حنفي فإذا مثلت الفلسفة نمط من تفكير يخص بيئة إنسانية خاصة ، فيفرز بالضرورة ممارسات ثقافية وحضارية خاصة بهذه البيئة ،تصبح لصيقة بها ، تعطي لها بطاقتها المعرفية ، وتصبح بذلك التشكل الثقافي والحضاري بمثابة هوية تعطى لهذا الأنا وخصوصيته وتميزه ، وبالتالي من هذا المنطلق يمكننا القول أنه بإستطاعتنا البوح بأن التراث الثقافي يمكن ربطه بالفلسفة وهذا صالح لكل العصور والأزمان . أما عن الفلسفة طريقة للعيش تحد الكاتب بييرآدو " أن الفلسفة القديمة تتطلب جهدا جمعيا ، مجتمع بحث ، عونا متبادلا ،دعما روحيا ، وفوق كل شيء لم يتنصل الفلاسفة قط من المشاركة في دعم مدنهم ، وتحويل مجتمعهم ، لعل الأفكار السياسية قد إختلفت من مدرسة إلى أخرى ، ولكن الإهتمام بتقديم العون للمدينة أو الدولة أو الملك ، ظل ثابتا على الدوام ، وإلى جانب تيقظ المرء لأفكاره والتسليم بما يقضي له القدر ، ثمة مكان جوهري مقيض للواجب الذي علينا أن نقوم به دائما في خدمة المجتمع البشري ، هي الحكمة بعينها التي توائم مع حكمة الكون ومع العقل الذي يشارك فيه البشر جميعا ، هذا الإهتمام بالعيش في خدمة المجتمع البشري ، وهو عنصر جوهري لكل حياة فلسفية ، فالحياة الفلسفية تستلزم عادة مشاركة مجتمعية والحكمة هي ظبط التوازن " [10]

فإذا أردنا أن نتحدث عن كيفية كون الفلسفة أو الفكر بمثابة منهاج للحياة ووسيلة فكرية لمواجهة الكون والطبيعة ،فهذا يعود بنا إلى منطلق بحثنا المتمثل في ماهية الفلسفة ،والتي كثيرا مانجدها تتغلف بما نسميه "الحكمة " وكل هذا يعني أن الإحتكام إلى العقل ، والتفكير الصائب النابع من الحكمة ، وهو الطريقة

الوحيدة السلسة لمجابهة ظروف الحياة التي كثيرا مايكتنفها الغموض ، فإذا رجعنا إلى أفلاطون والمدينة الفاضلة ،وهو عالم المُثُل ، خالي من العيوب تحت لواء الحكمة والتفكير الجيد ، إذا ما إستطاع المجتمع التطبيق الفعلي لهذا المفهوم ، فالفاعلون الإجتماعيون بإمكانهم صنع مجتمع خاص بهم ، يحمل الأخلاق والقيم النبيلة التي تمثلهم ، فيجتمع الفكر بالواقع ، ويرقى الفعل إلى الفكر فيخلق بذلك نوع من النجانس في منهج حياتي يمتد لألاف السنين . ،فحسب توكفيل "يميل الفكر الغربي إلى التحرك نحو المساواة ، التي تعمل على عزل الأفراد عن القيود الطبيعية التي يفرضها الوضع الإجتماعي وعن التراثيات المنقولة من الماضي حيث يحدث كل هذا بعد إنهيارالأستقراطية، لم يعد الفرد مقيدا بالماضي لا فلسفيا ولا إجتماعيا حيث يميل الناس إلى عدم الإهتمام بمجتمعاتهم المحلية فيركزون على الدائرة الضيقة من مصالحهم المباشرة ، فتتعزز عزلتهم بشكل مستمر بفعل ظروفهم ، وهكذا تميل المساواة إلى إنتاج النزعة الفردية ، و تميل هذه الأخيرة إلى إعماء الناس عن أهمية المكان،الناس والتاريخ والتراثيات المحلية وعندما يتحول التركيز "إلى داخل النداءات المتحررة يميل المجتمع المحلي إلى التلاشي في الخلفية ، في حيث تحتل الرغبة الفردية مركز الصدارة ويضيف كل من بيكون وديكارت أن الذات الليبيرالية المتحررة من التراث هي المثل الأعلى الجديد حيث التراث عقبة أمام التقدم ، و التحرك الشامل ضد التراث والماضي موجه كذلك نحو الدين كعبء من ذلك الماضي [11]

وحسن حنفي " يسعى إلى بناء القديم كله ليكن قادرا على مواجهة تحديات العصر و الإنتقال من الإصلاح إلى النهضة، وذلك بالإعتماد على سلطة العقل واجتهاد المحدثين فالتراث ليس قيمة في ذاته إلا بقدر ما يعطي من نظرية عملية في تفسير الواقع والعمل على تطويره ويكمن توظيف التراث ليكون نظرية للعمل و موجها للسلوك، وذخيرة قومية يمكن إكتشافها واستغلالها واستثمارها من أجل إعادة بناء الإنسان وعلاقته بالأرض،حيث يمثل التراث أحد عناصر هويتنا التاريخية والحضارية،فبعد إعادة صياغته وبناءه ثم تجاوزه لإنشاء تراث جديد في الواقع إنطلاقا من نظرية التفسير ،تبدو النظرتين، مختلفتين تماما ، في تضاد وصراع تام ، فالفكر الغربي يدعو إلى القطيعة الإبستيمولوجية ، مع كل ماهو قديم ، سواء كان أساسا للوحدة المجتمع عدمها ، فيطرح الفكر الفرداني في المقدمة ، فنتخلى عن فكرة ابن خلدون ، وكانت مقولته الشهيرة "إن الإنسان مدني بطبعه" يحتاج أن ينتمي إلى جماعة بشرية ، يشترك و يشاركها في نفس الصفات ، و الموروثات الحضارية و الفكرية و التي تجدد طبيعة المجتمع الذي يأوي إليه ، فهذه النزعة المحادية ، تجرد الإنسان من بعض عناصر هويته ، كماضيه وتراثه المشترك الذي يعتبر أحد أركان مضيَه نحو الأمام ، ليبدع مستقبلا سليما بدلالة الماضي و التراث ، أما في الإتجاه الآخر ، فيذهب الدكتور حنفي إلى عكس هذه النظرة

تماما ، ففي الفكري العربي و الإسلامي ، تبقى نظرية الشمولية و الكلية ، هي أساس في فكره حيث يبقى تعلق الإنسان بماضيه و ما يحويه من تراث ، هو اللبنة التي يقوم عليها مجتمعه كإنسان شرقي المنشأ ، له عقيدة تنفرده إلى ما هو أفضل لينشىء مجتمع سوي ، مبني على آثاره ،فردا ينتمي إلى جماعة معنية في بيئة أساسها التراث ، لليقوده إلى غد أفضل.

**8.الظواهرية في الفلسفة وعلاقتها بالثقافة والتراث**

تعرف الظواهرية على أنها دراسة لظاهرة أو مجموعة من الظواهر حيث جعل "هوسرل"من هذه الفلسفة علما صارما موضوعه" الماهيات "حيث يعرفها على أنها "العلم الخالص الذي يدرس الظواهر باعتبارها "ماهيات" وكل المشاكل التي تنبثق منها ويقود إليها مثل ماهية الإدراك والوعي"(12) بالخصوص عند هورسل هي "تعبير على الفلسفة الوعي الداخلي وحملة العلاقات التي تقدمها هذه الأخيرة مع الموضوعات ويعرفها جون بول سارتر "إن الظواهرية منهج بسيط ، يتمثل في إنتاج صور داخل ذواتنا ، ثم إن تفكير حول هذه الصور و وصفها معناه تحديدها و ترتيبها حسب صفاتها الخاصة و المميزة " [13]،ويضيف هوسرل أن "الفلسفة تمثل على الدوام الرغبة الثابتة للإنسانية من أجل المعرفة الخالصة والمطلقة" فالظواهرية عند هوسرل هي العودة إلى الأشياء نفسها لوصف ما يظهر ، من أجل بناء علم الماهيات ، و إلا فإن كل تفكير يبقى مستحيلا ، والمنهج الظواهري في هذه الحالة ، يتمثل في إظهار القوانين الأساسية التي تحكم الماهيات ، فإذا أردنا فهم الإنفعال ، والرغبة ،الأهواء يجب الرجوع إلى هذه الماهيات ، كأصل يقودنا للتفكير ، وإلى النظرية [14]

والظواهرية في الفلسفة هي المذهب القائل بوجود حقيقي للظواهر وإنكار الجوهر المادي ، والإدراك لا يكون إلا بظاهر الأشياء ، أي بما تبدو علية أي إدراك بما ينطبع من الظواهر على الحس ، وما يتخلف عن هذا الإنطباع من صور و دوما يترتب عليها من أفكار و كأن الحديث عن الشيء حديثا في الواقع عن الشيءو ليس الشيء نفسه ،والظواهرية في نظرتها للوجود ، هي وصف لمجموعة من الظواهر المدركة المشاهدة والتجربة ، فتؤثر الظواهر في الحواس فتنتج أحاسيس فيتم من خلالها التوصل إلى معرفة هذه الظواهر بارتباطها الزماني والمكاني وهي في النهاية ماهي إلا معرفة لما هو ظاهر والجوهر غير ملموس ، لايخضع لملاحظة وهو خارج نطاق المعرفة ، فلا يمكن معرفة العالم المادي مباشرة إلا من خلال المعطيات الحسية ، فما يدرك من المعطيات المادية سوى صفات لها كالشكل ، النوع وموضوعات تجربته هي مايراه ويسمعه ، فهي معطيات حسية وليس إحساس أي بالحواس ، فهده المعطيات هي أساس المعرفة بما هو ظاهر للعيان ."والفينومولوجيا هي مدرسة الفلسفة ، تعتمد على دراسة موضوعية للواقع كما يعاش ، ويختير بشكل ذاتي " تقوم على العلاقة الجد لية بين الفكر والواقع ، ماذا يعطي وماذا يأخذ كلاهما من الآخر ، فالظواهرية هي

فلسفة اجتماعية ظهرت في مقابل المدرسة الوضعية ، حيث الوضعية تسلم بوجود وقائع موضوعية بعيدة عن تدخل والوعي الفردي ، حيث تهتم فلسفة الظواهرية، بالوعي الإنساني لفهم الحقائق الإجتماعية "(2)والطريقة التي يفكر بها الانسان بالخبرة التي يعيشها حيث أن الفينومولوجيا عذه هورسل ، هي الوعي البشري الخالص بالماهية ، حيث تمكنا الظواهرية فلسفة تستند الى الوعي مرجعا الى المعرفة وبحسب الوقائع الظاهرة للعقل ، اي ماتمثله الظواهر الواقعية ، كنقطة بدايته لتحليل الظاهرة واساس معرفتنا وهي أساس لكيفية حضور الإنسان وتعامله في العالم وأساسه معرفة الإنسان القبلية استثنائيا بالظواهر قبل أن نبدأ بالتجربة [15]

تعتبر العلوم الإنسانية ، ومعرفة الإنسان لذاته بعد معرفته للطبيعة أمرا أساسيا يشكل أهم ركن في الفلسفة الذي يعتبر الوصول للحقيقة تاج المعرفة الإنسانية كلها تتحدد بروابط متضادة ،العقل والواقع ، الذات والموضوع ، والنظرية والتجربة السؤال كيف هو العقل بالنسبة للتجربة حيث يقول توني طوم "لا يشكل التجريب مقوما وحيدا في تفسير الظواهر ، بل لابد من إدماج عنصر الخيال في عملية التجريب لأن الخيال هو تجربة علمية ذهنية تمنح للواقع غنى ،حيث حسب باشلار العقلانية المعاصرة تؤسس على يقين المزدوج ،بحوار جدي بينما هو عقلي واقعي أما بلانشي يبين أن المعرفة العلمية نتاج حوار جدي بين العقل والتجربة ،وفي علاقة الفلسفة بالتراث يرى كانط الحقيقة في العلاقةبين الذات العارفة ومعطيات الواقع الحسي حيث يعتبر الوجود الإنساني بكونه منتجا للمعرفة سواءا بذاته أو بالغير والمشكل الذي يطرح في العلوم الإنسانية والمساءل المتعلقة بالتراث والموروث ، حيث هو علاقة للذات بالموضوع ، فهناك جدلية قبلية فهل المنهج سوف يكون منهج التفسير الموضوعي أم منهج الفهم ، لأن هناك علاقة بين الذات والموضوع ، والإنسان هنا وما ينتجه من أفعال وظواهر هو الدارس و المدروس حيث يقول "فيلهم دالتاي" أن المنهج أي التفسير لهذه الظواهر ، لأن الفهم يعطي التأويل وتدخل الذات ومنه "ماهية الأشياء "حسب هورسل. تعمل الثقافة على جمع المتتوج الثقافي و فحصه و معالجته و يستخدم "ماركس هور كايمر"عبارة فلسفة إجتماعية باعتبار مهمة الفلسفة هي من تحلل الواقع وتفسره و يتحول إلى نقد الواقع ، و الموضوع الإجتماعي هو الموضوع السائد ، فبالتالي نقده ومحاولة التفسير للواقع الإجتماعي الذي هو نفسه ثقافي ديني ،سياسي معرفي ،في آن واحد و باعتبار الفلسفة هي "فن ابتكار وصناعة المفاهيم "و هذا الفن عند الألمان هو الثقافة ، وتعتبر الفلسفة و الثقافة موضوعها الأفكار المبنية على الحجاج العقلي البرهاني هي الفلسفة هي البحث عن علل الوجود ، و الثقافة ، تجسيد عملي لهذه الفكرة [16]

**التراث اللامادي** :ينقسم إلى اللغة والأدب الشعبي (القصص والأمثال الشعبية، الشعر، الأدب، الألغاز،الأسطورة..،الحكايا...الخ)، العادات والتقاليد الشعبية (الأفراح، والطقوس)، المعتقدات الشعبية (مقابر الأولياء، السحر، الطب الشعبي، الأعداد، الأشخاص،وتدل على الأفعال الماضية القديمة والحكم المتراكمة التي مر بها المجتمع ويتناقلها الخلف عن السلف أما الطقوس هي مجموعة من الإجراءات التي يؤديها بعض الأشخاص والتي تقام أساسا لقيمتها الرمزية، [17]

يعتبر هيجل "الفلسفة هي روح الثقافة ومرتبطة بها إرتباط وأساسيا "وعن مفهوم الثقافة في الفلسفة فقد جادلت بعض المدارس مثل الماركسية والنظرية النقدية بأنها من أهم مزايا الشعوب فهي اختلاف الثقافات وتميزها في العادات والتقاليد ، والقيم والدين... حيث ارتبط مفهوم الثقافة في الفلسفة في العصور الحديثة والمعاصرة بالموروثات والتقاليد كما اهتمت المدرسة الثقافية الجديدة باعتبار الثقافة تعبير عن الفن و الأدب و الممارسات والقيم فباعتبار الخصائص المكونة للثقافة هي محط اهتمام الكثير من الفلاسفة من خلال خصائصها في الفلسفة وهي أنها تنتقل من فرد لأخر وهذا النقل لايتم إلا بواسطة المعرفة و يشمل العادات والقيم الموجودة في المجتمع وكذا يمكن إطلاق مفهوم الثقافة على الأ شكال الواقعية و المثالية ، حيث أن الثقافة الواقعية هي الأسلوب الفعلي الذي يقوم به الفرد أما المثالية فهي التي يجب أداؤها وفقا لقيم السلوك ونظام الأخلاق وهذا ما يتجسد من نوع الثقافة الاجتماعية الموجودة في الفلسفةالتي تتعامل مع القيم والعادات والتقاليد وبالتالي تكون الثقافة هي الأساسيات التي تبني السلوك .الإنساني.[18]

فلإنتاج العلاقة الموجودة بين الفلسفة كتفكير عقلي نظري ، ينتظر المعرفة والبحث عن الحقيقة من خلال ملاحظته للظواهر التي تحيط به ، وربطه بالموروث الثقافي الامادي ، الذي هو كل سلوك يقوم به الانسان منذ بداياته الأولى على الأرض ، و باللأخص السلوك الرمزي ، والذي هو عبارة عن دلالات لايمكن وضع اليد عليها إلا بمعرفتها وإدراكها من خلال الوعي الانساني في نعت وتصوير وبيان سمات هذه الوقائع والحالات والأحداث التي تتضح له منذ الوهلة الاولى فلتفسير هذه العناصر التي تشكل التراث ، و خاصة تلك التي هي عبارة عن معاني ، أكثر من كونها وقائع ملموسة ، كاللغويات والطقوس والأداب والنقوش والأخلاق التي هي بدورها جزء لا يتجزء من مفهوم الثقافة ، التي تعتبر جامعة لكل ماهو منتوج وسلوك ثقافي ، خاصة في جانبها المعنوي ، فاعتبار الفلسفة هي أنساق فكرية مبنية على براهين عقلية، لمعرفة حقائق الكون والوجود فبارتباطها الوثيق بالثقافة وفي محاولة فهمها وتفسيرها من خلال ماهية هذه الظواهر الثقافية التي هي بدورها جزء من المجتمع الذي يكونها ، ويعطي لها إشارة البدء و الإنطلاق ، لذا هذه الظواهر الثقافية والاجتماعية و المعرفية كلها تتمحور حول نفسها مشكلة كل يعطي المعنى لهذا الوجود ، فالتراث الثقافي بهذا

المعنى نتاج لتفسير فلسفي لماهية هذه الظواهر الثقافية وبالتالي هو تأويل لهذه الأفكار التي هي أساس الفلسفة معتمدة على الفهم الخالص لحقيقة وجوهر وكنه هذه الظواهر من خلال مجموعة من الصفات الذاتية التي تعرف الشيء وتميزه عن غيره وتجيب عن سؤال" ماهو "في علاقة جدلية بين الواقع و التصور و الانطباع لهذا الواقع فالتراث ككل والثقافي منه على وجه الخصوص هي مجموعة وقائع تنتظر إدراكها والوعي بها من خلال أسلوب الفهم عن طريق الوعي العقلي لها ومعرفة ما هيتها وهذا يعتبر قمة المنهج الظواهري ،وإدراكه لدور الثقافة و الموروث الثقافي في تحسين المهارات الفكرية لأنها نتاج العقل البشري وهي أحد الجوانب الأساسية للوجود االإنساني وتوضيح علاقة الإنسان مع ثقافته ، كيف يتفاعل الإنسان مع ما حوله، وكيفية تأثير اللغة في التواصل ، وكيف يتشكل السلوك الأخلاقي والقيم من خلال التأثيرات الثقافية والهوية

**9 .الخاتمة**

لا ينفصل التراث الثقافي عن مفهوم الفلسفة الإجتماعية فكلاهما يخزنان كما كبيرا من المعارف والأفكار وقد ظل التراث منذ القديم يشكل الدعامة الأساسية التي تقوم عليها حضارات وثقافات كل المجتمعات حيث يعمل التراث بين مد وجزر في العلوم الإنسانية حيث أنه ينشأ ثم يعاش ويستمر ثم يندثر حتى يظهر من جديد في هيئات جديدة تختلف عن هيئاته السابقة لكن دائما ما تبقى ملامحه ظاهرة متشابهة نظرا لكونه نسقا من عدة أنظمة فكرية وثقافية بعناصر ورموز يجسدها المجتمع على شكل عادات وتقاليد وأساليب الوجود و فنون العيش .حيث تذوب هذه الأفكار داخل الواقع الإنساني وتنتقل من عهد لأخر ضمن ما نسميه بنظرية التفسير له ليصبح فيما بعد إرثا يعبر عن امتداد تاريخي حضاري تتداخل فيه القيم المتوارثة عبر حركيات ومسارات منتظمة تجوب جميع المساحات الإجتماعية الممكنة في صياغةجديدة لنوع من التفاعل بين التراث والفكر الفلسفي التجريدي بأنماط فكرية مختلفة عبر دينامكية من خلال نوع من التواصل الفكري يصيغ لنا فكرا وموروثا متجددا يحمل عناصر الماضي ضمن خطاب فلسفي تتضح معالمه في إطار تترجمه علاقة الإنسجام والتواصل بين الفلسفة والحضارة والتراث والثقافة على حد سواء .

## 10. قائمة المراجع

1-وفاء برتيمة ، ملامح الحضور الفلسفي في الفكر الجزائري ،ط1،دار الخليج للنشر والتوزيع،عمان الأردن ،2023

2-بيير آدو، الفلسفة طريقة حياة ، التدريبات الروحية من سقراط إلى فوكو ،تر عادل مصطفى ،مصر،مؤسسة الهنداوي 2017.

3-أحمدفايز العجارمة، الرشدية عند الجابري ،إبن رشد في فكر محمد عابد الجابري ،دار البيروني للنشر و التوزيع ،عمان الأردن، 2019 .

4- وفاء برتيمة ،ملامح الحضور الفلسفي،مرجع سابق،ص119-124.

5-. سلطان المعاني ،المواجهة الثقافية ،وإعادة تشكيل الوعي الإنساني ، "الآن ناشرون وموزعون " الأردن، 2025

6-شمس الدين الكيلاني ،مفكرون عرب معاصرون ، قراءة في تجربة بناء الدولة وحقوق الإنسان ، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات ، ط1 ، بيروت 2016

7- -. سلطان المعاني ،المواجهة الثقافية ،وإعادة تشكيل الوعي الإنساني،مرجع سابق،ص134-142.

8-مصطفى النشار ، -فلسفة حسن حنفي ، مقاربة تحليلية نقدية نيوبوك للنشر والتوزيع ، ط1 ، القاهرة ، 2017

9-حسن حنفي ، دراسات فلسفية في الفكر الإسلامي المعاصر،ص ص108-109ج1 مؤسسة هنداوي مصر2020

10- بيير آدو، الفلسفة طريقة حياة ، التدريبات الروحية من سقراط إلى فوكو، مرجع سابق،ص225.

11-مارك ت،ميتشل، حدود الليبرالية، التراث والنزعة الفردية وأزمة الحرية،تر،محمد عبده أبو العلا، مراجعة ، باسم سرحان،المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، 2024

12-Husserl - ed mund , Ideés directrices pour une phénoménologie et une philosophie phénoménologique, paris ,2004 ,p310.

13-Merleau-ponty mourice :la structure du comportement . puf .paris ,france,1942,p1950

14-نقلا عن تيلوين مصطفى، المنهج الظواهري عند إدموند هوسرل،مجلة الحوار الثقافي،المجلد2،العدد1،فيفري2013،ص76-86.

15-شارلين هس بيبر ، وباتريشيا ليفي ، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية ، تر هناء جوهري ، القاهرة المركز القومي الترجمة ،2011

16-أحمد ماريف ، فلسفة الثقافة السياقات والمفاهيم ، بين تعدد المعاني و الدلالات ووحداتها مجلة معيار عدد خاص أفريل 2024 .

117-الحسين ريو ش بلحسن . التراث الشعبي وأهميته التاريخية من خلال نماذج من الأمثال والعادات والطقوس والمرددات الشعبية. -شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع- عمان،2021.

18محمدي آلاء،مفهوم الثقافة في الفلسفة واثره في المجتمع مفاهيم 24/03/27 https://mafahem.com .تاريخ الزيارة24 /2025/09